

## عام على حكم أوباما

عصام نعمان

غسان العزي

جاسم الحريري



## ندوة | عام على حكم أوباما

بمناسبة مرور عام على وصول باراك أوباما إلى سدة البيت الأبيض وجهت "شؤون الأوسط" أربعة أسئلة إلى كل من الدكتور عصام نعمان، النائب اللبناني السابق والمحامي. والدكتور غسان العزّي، أستاذ العلوم السياسية في الجامعة اللبنانية. والدكتور جاسم الحريري أستاذ العلاقات الدولية بجامعة بغداد. وقد ارتأى الدكتور الحريري الإجابة عن الأسئلة بمقالة موسعة.

**شؤون الأوسط :** اطلق الرئيس الأميركي باراك أوباما في أثناء حملته الانتخابية وعشية استلامه الحكم عدداً كبيراً من الوعود على الصعيدين الداخلي والخارجي. برأيكم بعد سنة على حكم أوباما ما الذي حققه وما الذي لم يحققه على صعيد السياسة الخارجية في العالم بعامة؟

**عصام نعمان :** في خطابه الأول بعد عامه الأول من ولايته الأولى عن "حال الإتحاد" الفدرالي الأميركي، غابت الفصاحة عن باراك أوباما وحضرت الخيبة. طغى الداخل المترع بالتحديات الاقتصادية ومشاعر الإحباط والنقمة لدى الأميركيين الموعودين بالتغيير، على الخارج الزاخر بالأزمات السياسية والأمنية والصراعات المزمّنة على الأرض والموارد والثروة والأسواق والنفوذ.

سعى الرئيس الأميركي في خطابه أمام الكونغرس إلى إقناع مواطنيه بأنه يدرك ويتفهم معاناتهم ولن يتوانى عن معالجتها. أطلق لهذه الغاية سلسلة مبادرات محدودة لخفض الضرائب عن ذوي الدخل المحدود، ولإستخدام المزيد من الموظفين والعمال، ولضبط العجز المالي بتجميد الإنفاق العام في معظم الحقول، إنما بعيداً من الإعتمادات المخصصة لوزارة الدفاع أو لبرامج التأمين الإجتماعي والعناية الصحية. إختصر سياسته بعنوان لافت: "إيجاد الوظائف يجب أن يكون تركيزنا الأول في سنة ٢٠١٠".

بعد ساعات من خطابه أمام الكونغرس، استدرك أوباما في لقاء بولاية فلوريدا قليل اهتمامه بالسياسة الخارجية وبعملية السلام في الشرق الأوسط. قال إن "إسرائيل هي

واحدة من أقوى حلفائنا وأمنها أساسي للمصالح الأميركية". عرّج على ما اسماه "محنة الفلسطينيين". لاحظ أنها "أمر يجب أن نتنبّه إليه إذ ليس من مصلحة أمتنا وأمن إسرائيل ان يشعر ملايين الأفراد بفقدان الأمل". كيف يستعاد الأمل؟ "بالعمل على محاولة تعزيز قدرة الطرفين على الجلوس معاً إلى الطاولة".

هكذا يتبدّى أوباما من خلال خطابه منشغلاً بالداخل. هذا لا يعني أن الخارج متروك لـ "الخوارج"، بمعنى الخارجين على سلطة أميركا وطاعتها، بل يعني التفاوت في تركيز الإهتمام وبالتالي العمل. فالإهتمام مركّز، في الدرجة الأولى، على قضايا الداخل وتحدياته. في الخارج، يحتل الإهتمام بالإرهاب، المرتبة الأولى، تليه إيران النووية، وأخيراً وليس آخراً الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي.

غسان العزي : لا يكفي عام واحد كي يتمكن رئيس الولايات المتحدة مهما كان قوياً ويتمتع بإرادة التغيير الفعلي أن ينجح في تخطي الكم الهائل من التراكمات التي ورثها عن اسلافه، لاسيما آخرهم، المحافظين الجدد، والذين خلفوا وراءهم كوارث حقيقية في السياسة الخارجية. لكن فترة العام تعطينا فكرة عن النهج الذي يسلكه الرئيس الشاب الذي جاء في ظروف صعبة بعد معركة انتخابية شرسة وطويلة، ومن الأكثر كلفة في التاريخ الأميركي. لقد تقدم المرشح أوباما بوعود انتخابية ليس من المؤكد ان في وسعه الوفاء بها لاسيما في الظروف الصعبة التي تعيشها بلاده والعالم. فالأزمة المالية التي ضربت الولايات المتحدة ومنها العالم أجمع تقريباً ليست من تلك الأزمات السطحية أو الظرفية، وبالتالي، فإن تجاوزها يتطلب الكثير من الأبداع والصبر والجرأة. وفي الانتظار، على الرئيس أن يفي بوعود مكلفة قد لا يتوافر لها الدعم السياسي ولا المالي، وهذا ما حدث لدى طرح مشروع الإصلاح الصحي الذي تطلب وصوله إلى الكونغرس معركة قاسية وطويلة إنتهت بفوز أوباما، وهو فوز تاريخي، لأن كل الرؤساء الذين تصدوا لمثل هذا الإصلاح منذ روزفلت في الثلاثينات من القرن الماضي، وصولاً إلى كلينتون في التسعينات قد فشلوا. لكن خسارة الديمقراطيين لأغلبية الستين صوتا في مجلس الشيوخ، اثر ضياع مقعد ماساشوستش لمصلحة الجمهوري سكوت براون في انتخابات كانون الثاني/يناير الماضي ملء المقعد الذي شغره بوفاة السناتور الديمقراطي، تيد كينيدي، في آب/أغسطس ٢٠٠٩، تعد كارثة حقيقية. فهي قد تعرض مشروع المتعلق بالإصلاح الصحي للسقوط لدى القراءة الثانية في الكونغرس، ومن المؤكد أنها ستعيق قدرة الإدارة على طرح مواضيع شائكة أخرى أمام الكونغرس يتطلب اقرارها اغلبية موصوفة (ستون صوتاً).

والنجاح في السياسة الداخلية يعتبر عموماً مقدمة لنجاح مماثل في السياسة الخارجية، والعكس صحيح في غالب الاحيان. في هذا المجال، تمكن أوباما من الوفاء بوعود الانفتاح

على الخصوم مثل إيران التي مد لها اليد بمناسبة عيد النوروز في آذار/مارس ٢٠٠٩ عندما توجه إلى "الجمهورية الإسلامية قيادة وشعباً" بالتهاني قبل أن يوجه خطابات اتسمت بالحرارة والانفتاح إلى العالمين الإسلامي والعربي من أنقره ومن القاهرة، من دون الكلام عن الزيارات العديدة التي قام بها إلى عواصم إسلامية وعربية وعن استقبالاته في البيت الأبيض لزعماء مسلمين وعرب. هذا في الشكل، أما في المضمون، فإن أوباما عجز عن تحقيق القطيعة التي وعد بها مع سياسات خلفه، بوش، إذ استمر في محاصرة إيران وتهديدها من زاوية الملف النووي الموروث، كما أنه استمر في إرسال التعزيزات إلى أفغانستان بذريعة محاربة الإرهاب. وفي العراق يبدو أن أوباما سوف يحترم الإتفاق الذي وقعه بوش مع الحكومة العراقية في صدد إنسحاب الجيش الأميركي منه في نهاية العام ٢٠١١. لكن ليس من المؤكد أن أوباما سيهتم كثيراً بمستقبل هذا البلد السياسي والأمني والذي وصل إلى ما وصل إليه بفعل اعتداء عسكري عليه قامت به الولايات المتحدة من دون أدنى مسوغ، وبالتالي يترتب عليها مسؤوليات قانونية وأخلاقية ينبغي أن تتحملها.

أما مع روسيا، فقد خطأ أوباما خطوة جريئة، عندما ألغى مشروع الدروع الواقية من الصواريخ العزيم على قلب الإدارة السابقة ونزع فتائل الإنفجار في العلاقة معها، فأعادها إلى مجلس الأطلسي، وبدأ معها محادثات تجديد معاهدة ستارت - ١، وأعلن من منبر الأمم المتحدة تأييده لعالم خال من الأسلحة النووية، مبدياً الاستعداد لتخفيض الترسانة الأميركية بشكل لافت عبر التفاوض مع روسيا. وقد منح أوباما جائزة نوبل للسلام، ليس على ما أنجز ولكن، كما قالت لجنة نوبل المانحة، لأنه يؤسس لثقافة جديدة في العلاقات الدولية وينبغي تشجيعه في هذا المضمار، لاسيما وأنه لا يلاقي التأييد المأمول من نظرائه زعماء الدول، لاسيما الكبرى منها.

**شؤون الأوسط : كيف تعاطى أوباما مع مشكلات الشرق الأوسط وما الذي تغير ولم يتغير عن سياسة سلفه منطلقات واساليب في ملفات العراق وايران وافغانستان تحديداً وهل تعتقد اننا امام مرحلة جديدة من المواجهة بين الولايات المتحدة والتنظيمات التي تصفها بالإرهابية؟**

عصام نعمان : غاب الصراع العربي - الإسرائيلي كلياً عن خطاب أوباما، كذلك بقية القضايا والتحديات الخارجية. اكتفى بتذكير الأميركيين بجهوده وتدابيره لمكافحة الإرهاب وتعزيز الأمن الوطني بإصلاح الخلل الذي فضحته محاولة شاب نيجيري تفجير طائرة ركاب اميركية يوم عيد الميلاد. إختصر الخارج كله، أو كاد، بتنظيم "القاعدة". دعا إلى "تعزيز الشراكة من المحيط الهادئ إلى جنوب آسيا والجزيرة العربية" في مكافحة الإرهاب. تطرق إلى أفغانستان والعراق بإقتضاب. وعد ببداة الإنسحاب من الأولى في تموز/يوليو ٢٠١١ ومن الثانية في نهاية آب/أغسطس المقبل.

في الصراع مع إيران، لم يخف أوباما سخطه من انسداد باب المفاوضات معها حول مشروع تخصيب اليورانيوم في الخارج. انسداد باب المفاوضات سيقود أميركا حتماً إلى تصعيد العقوبات. مجلس الشيوخ وافق أخيراً بالإجماع على مشروع قانون يجيز للرئيس الأميركي فرض عقوبات على كل من يصدر البنزين إلى إيران أو يساعدها في توسيع قدراتها على تكرير النفط. زعيم الغالبية الديمقراطية في مجلس الشيوخ، السناتور هاري ريد، اعتبر أن إقرار التشريع "أمر حساس لتوجيه رسالة إلى إيران مفادها أن الولايات المتحدة جدية في منع إيران من امتلاك قدرة الحصول على أسلحة نووية".

من المشكوك فيه أن توافق دول أوروبا تلقائياً ودول كبرى كالصين، وربما روسيا أيضاً، في مجلس الأمن على اعتماد عقوبة منع وصول البنزين إلى إيران. أوروبا قد تعارض لأن مؤسسات مالية وشركات نفط وتأمين عدة تابعة لها تستثمر رساميل ضخمة في إيران أو تتعاطى معها تجارياً على نطاق واسع. أما الصين التي تستورد نسبة مئوية عالية من حاجاتها النفطية من إيران فقد تجد نفسها مضطرة، وخصوصاً بعد انفجار خلافها مع الولايات المتحدة بسبب صفقة الأسلحة الأميركية المتطورة لتايوان، إلى رفض تطبيق هذه العقوبة وربما إلى تجاوزها أيضاً بتوريد النفط المكرر إلى الجمهورية الإسلامية في مقابل كميات النفط الخام التي تستوردها منها. الأمر نفسه قد يتكرر مع دول أخرى تشتري النفط الخام من إيران. أهم مخاطر هذه القضية أن تلجأ أميركا إلى فرض حصار بحري على إيران. ذلك أن الجمهورية الإسلامية قد تضطر عندئذٍ إلى ضرب السفن الحربية التي تفرض الحصار ما يؤدي إلى إندلاع الحرب أو إلى إغلاق مضيق هرمز في وجه ناقلات النفط من دول الخليج العربية.

رافق التوتر في العلاقات الصينية - الأميركية بسبب صفقة الأسلحة المتطورة لتايوان إقدام إدارة أوباما على خطوة تصعيدية خطيرة في تعاملها مع إيران تنذر بما هو أسوأ من التوتر الناتج من أزمة البرنامج النووي، من خلال نشر الولايات المتحدة سفناً حربية إضافية في مياه الخليج قبالة السواحل الإيرانية، وصواريخ اعتراض في قطر والإمارات والبحرين والكويت، ودعم السعودية في خطة تقضي بزيادة عديد الجنود الذين يحمون منشآتها النفطية والمائية، وذلك بهدف ما وصفته بـ "ردع الإيرانيين"، و"طمأنة" الدول العربية، و"تهديئة" مخاوف الإسرائيليين.

وكانت صحيفة "نيويورك تايمز" ذكرت ان الولايات المتحدة تسرع وتيرة نشر أنظمة مضادة للصواريخ في الخليج "استعداداً لأي هجوم محتمل" قد تشنه إيران في حال تشديد العقوبات عليها. وتقول "نيويورك تايمز" إن الدول العربية باتت تتقبل في شكل أكبر موضوع نشر أسلحة دفاعية أميركية على أراضيها خشية القدرات العسكرية لإيران. ونقلت عن مسؤول أميركي رفيع المستوى قوله إن "هدفنا الأول هو ردع الإيرانيين" عن

مهاجمة جيرانهم، مضيفاً إن "الهدف الثاني هو طمأنة الدول العربية لئلا تشعر بأنها مجبرة على امتلاك السلاح النووي بنفسها. كما يتعلق الأمر جزئياً بتهدئة الإسرائيليين"، إذ ان واشنطن تحاول ان تظهر لإسرائيل "أنه لا توجد حاجة عاجلة لتوجيه ضربات ضد المنشآت النووية والصاروخية الإيرانية".

هل تختار إدارة أوباما في نهاية المطاف طريق القوة في صراعها مع إيران؟ الجواب: دون ذلك صعوبات جمة. فالرئيس الأميركي منشغل جداً بتحديات الداخل، لا سيما الاقتصادية منها، وليس من المنطقي أن يزج بلاده في حرب مكلفة تتطلب الكثير من الموارد والقدرات وربما الأرواح البشرية أيضاً. ثم إن دول الجوار، لا سيما منها المنتجة للنفط، تعارض خيار الحرب لأنها ستصاب جراً بأضرار بشرية ومادية هائلة لا طاقة لها على احتمالها. إلى ذلك، فإن توسيع دائرة الصراع من شأنه فتح جبهات كثيرة على أميركا وحلفائها من طرف حركات المقاومة الأمر الذي يلحق بهم جميعاً أضراراً وقد يؤدي إلى إنهاء نفوذ أميركا والغرب الأطلسي في المنطقة.

غير أن خيار الحرب يبقى وارداً إذا لم تتمكن أميركا، في نهاية المطاف، من منع إيران من إنتاج أسلحة نووية. ذلك أن ثمة قناعة، إن لم تكن ثقافة عامة، في دول أميركا وأوروبا مفادها أن الحرب ضد إيران تبقى أدنى تكلفة لها من امتلاك إيران أسلحة دمار شامل. فالغرب يخشى من تسريب أصناف تكتيكية من هذه الأسلحة إلى حركات المقاومة ما يؤدي إلى تهديد إسرائيل بخطر شديد وبقلب موازين القوى في المنطقة لمصلحة العرب.

تعرّز احتمال لجوء أميركا إلى اعتماد خيار الحرب ضد إيران عقب الشهادة التي أدلى بها رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، طوني بليير، أمام لجنة التحقيق الرسمية في ملابسات الحرب على العراق. ذلك أن بليير ادعى أن سياسة احتواء برنامج أسلحة الدمار الشامل لصدام حسين فشلت، فكان لا بد من شن حرب استباقية على العراق لمنع من إحياء برنامج إنتاج الأسلحة النووية. ولم يكتفِ بليير بعدم إبداء ندمه على مشاركته الرئيس الأميركي الأسبق جورج بوش الأب في قراره بشن الحرب بل قال أيضاً إنه يعتبر الخطر الذي تشكّله إيران سنة ٢٠١٠ بسبب برنامجها النووي أكبر من الخطر الذي شكّله العراق في ٢٠٠٣، ملمحاً إلى ضرورة تدخل عسكري ضدها.

غسان العزي: منذ البداية أعتبر أوباما ان الحرب الحقيقية على الإرهاب ينبغي أن تكون في أفغانستان وليس العراق الذي كان من اشد المعارضين لغزوه وهو لما يزل عضواً في مجلس الشيوخ. لكن قبل انقضاء عام على وجوده في السلطة يبدو أن أوباما في صدد توسيع دائرة الحرب على الإرهاب لتشمل دولاً ومناطق جديدة كاليمن والقرن الأفريقي، وقد يعوض فشله في ملفات دولية عديدة بالهروب إلى الأمام أي بالعودة إلى المعروفة التي طالما لعبها سلفه، بوش، والمتعلقة بالحرب العالمية الشاملة على ما كان يسميه الإرهاب.

شؤون الأوسط : فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية وإسرائيل. كيف تقيم سياسة أوباما حتى الآن؟ ولماذا لم يحرز أي تقدم حتى الآن في عملية التسوية؟  
عصام نعمان : في الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي يبدو أوباما حريصاً على أمرين: صون أمن إسرائيل، والتنبه إلى خطر استمرار محنة الفلسطينيين على أمن أميركا وأمن إسرائيل. كيف ينوي التوفيق بين الأمرين؟

يبدو أن نهجه المفضل هو إعادة الطرفين إلى طاولة المفاوضات. لعله اتعظ من تجربة طوني بلير الذي قال، أيضاً، للجنة التحقيق في الحرب على العراق إن بريطانيا و أميركا أخطأنا بعدم قيامهما بتنظيم مفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين قبل بدء الحرب. ما قصد إليه بلير هو ضرورة إبداء الغرب حسن نية تجاه العرب والمسلمين لتنفيس سخطهم المزمع الناشيء عن المظالم التي ألحقها بهم، وذلك قبل خوض حرب جديدة قد تلحق بهم المزيد من المظالم.

في ضوء هذا التحليل، يبدو أوباما عازماً على إحياء المفاوضات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي مهما كلف الأمر، وذلك قبل اللجوء إلى خيار استعمال القوة ضد إيران. لعل هذا ما يفسر عودة مبعوثه، جورج ميتشل، إلى التجوال في المنطقة والتأكيد بأن إدارة أوباما مصممة على إحياء المفاوضات بين الفلسطينيين والإسرائيليين. غير أن أوباما لن يعتمد فقط على جهود ميتشل وحده بل هو ينتظر عوناً ومساعدة كبيرين من حلفائه العرب، ولا سيما من مصر والسعودية. في هذا الإطار، يمكن تفسير دور حكومة مصر المزدوج في الضغط على فصائل المقاومة في قطاع غزة من خلال إغلاق معبر رفح وإقامة الجدار الفولاذي الباطني من جهة، والمجهود السياسي الذي يبذله وزير الاستخبارات، عمر سليمان، لتوقيع وثيقة مصالحة بين "فتح" و"حماس" وسائر الفصائل من جهة أخرى.

قد يضطر محمود عباس، إزاء ضغوط حلفائه العرب، إلى الموافقة على إجراء مفاوضات غير مباشرة مع إسرائيل عبر الولايات المتحدة. غير أن إسرائيل قد تعطلها إذا ما شعرت بأنها ستحملها على تقديم تنازلات عن مستوطنات. فهي في صدد المزيد من التوسع لجعل خيار الدولة الفلسطينية القابلة للحياة غير قابل للتحقق. وهي قادرة على تعطيل خيار المفاوضات من دون أن تلقى من إدارة أوباما، في غمرة ما تعانيه حالياً من تحديات اقتصادية في الداخل وصعوبات ميدانية في الخارج، أي ردع مؤثر.

حتى إدارة أوباما لن تحزن كثيراً إذا ما رفضت إسرائيل استئناف المفاوضات. يكفيها "فخراً" أنها حاولت دفع إسرائيل إلى التفاوض لتتفادي "سقوطاً" محتملاً من أعين حلفائها العرب الأوفياء. هؤلاء يتفهمون دائماً متاعبها مع إسرائيل "الناشزة" و"لوبياتها" الشيطانية في مختلف عواصم القرار! ثم، ألم تنجح واشنطن سابقاً في كبح "الخوارج" الخارجين على طاعتها برشاوى سياسية ومالية قدمتها إلى أولى الأمر في ديانا العربية؟

الجواب: نعم نجحت إلا في حرب إسرائيل العدوانية على لبنان سنة ٢٠٠٦. وهي لن تنجح، على ما يبدو، مرة أخرى في حربها المقبلة على أهل الممانعة والمقاومة في عالم العرب والإسلام.

غسان العزي: يمكن القول إن إدارة أوباما تكبدت إلى الآن فشلاً ذريعاً في هذا الملف الشائك. وقد اعترف أوباما نفسه بالفشل، حينما صرح في ٢١ كانون الثاني/يناير الفائت بأنه بالغ بالأمال المعقودة على قدرة الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي وجهوزيتهما لاستئناف المفاوضات. وهو قال ذلك في وقت كان مبعوثه الخاص جورج ميتشل ينهي بالفشل جولة في الشرق الأوسط هي الثانية عشرة منذ تكليفه، وذلك من دون تحقيق أي خرق يذكر. والسبب بات معروفاً إذ إن الرئيس أوباما أعلن منذ البداية أنه ينبغي على إسرائيل وقف أو تجميد الاستيطان كشرط للشروع في المفاوضات، وهو شرط وضعتة خارطة الطريق في الأصل وتمسك به المفاوض الفلسطيني الذي لم يعد قادراً على تقديم التنازلات والمزيد منها من دون مقابل. لكن أوباما أخذ يتراجع أمام التصلب الإسرائيلي إلى أن اعتبرت وزيرة خارجيته، كلينتون، "أمراً غير مسبوق"، موافقة نتنياهو على تجميد الاستيطان لمدة عشرة أشهر في الضفة الغربية، من دون القدس. وبالطبع لم يكن في وسع الفلسطينيين الموافقة على ذلك، فحاولت الإدارة الأميركية الضغط عليهم من طريق العرب "المعتدلين" الذين هم أيضاً لا يستطيعون الاستمرار في تقديم التنازلات المجانية لإسرائيل. وأمام عجز الإدارة عن الضغط على نتنياهو فإنها فشلت في تحريك العملية السلمية وبدت عاجزة أمام الجميع، ومنهم الأوروبيين، الذين اصدروا إعلاناً يعتبرون فيه الاستيطان غير شرعي وأن القدس ينبغي أن تكون عاصمة لدولتين فلسطينية وإسرائيلية، وأن الحل يقوم على أساس أراضي العام ١٩٦٧، وهذا يكشف ضعف الإدارة الأميركية وخوفها من "الايبيك" عشية الانتخابات النصفية للكونغرس، لاسيما وإنها خسرت ثلاثة انتخابات في سنتها الأولى: حاكمية ولايتي نيوجيرسي وفيرجينيا ومقعد ماساشوستس في مجلس الشيوخ في وقت تراجعت فيه شعبية أوباما إلى أقل من خمسين في المئة. والمعروف أن فشلها في الشرق الأوسط يعرضها لفقدان المصداقية في الساحة الدولية نظراً إلى ما تحظى به هذه المنطقة من أهمية للسلم الدولي.

شؤون الأوسط: هل تعتقد أن أوباما نجح في تغيير الصورة النمطية للإدارة الأميركية السابقة بمعاداتها للإسلام والمسلمين؟

عصام نعمان: ليس من الغلو القول إن الإسلام الراديكالي هو، في الواقع، القطب العالمي الأبرز في مواجهة أميركا. جورج بوش الأب كان يعتبر الإسلام والإرهاب صنوين. أوباما أمر أجهزة إعلامه بالكف عن هذه المزاجية، بل هو حاول في خطبته الشهيرة في جامعة القاهرة مطلع حزيران/يونيو الماضي أن يمد يد المصافحة والمصالحة إلى الإسلام

والمسلمين. غير أن ذلك لا ينفي اقتناع أوباما وفريقه بأن الإسلام، عموماً، هو القطب العالمي الأبرز، وربما الأفعل، في مواجهة أميركا، ليس في المنطقة فحسب بل على مستوى العالم أيضاً. هذا يعني، فيما يعني، وجود صراع بل حرب ضروس بين أميركا والتنظيمات الإسلامية الراديكالية، ناهيك بحركات المقاومة الوطنية ومجموعات العنف الأعمى. هذا الصراع العالمي بين القطبين يتعاظم بإطراد. أليس ما يحدث في العراق وأفغانستان وباكستان واليمن والسودان والصومال، وأحياناً في السعودية ولبنان وتركيا وأوروبا وأخيراً في أميركا، دليلاً ساطعاً على تمدده وتعاظمه؟

إلى ذلك، مد الإسلام الراديكالي، ممثلاً بـ "القاعدة"، مجال اهتماماته ونشاطه إلى حقول تتعدى الأمن والسياسة إلى البيئة والاقتصاد. ها هو أسامة بن لادن يهاجم أخيراً الدول الصناعية الكبرى ويحملها مسؤولية التغير المناخي، داعياً إلى التخلي عن الدولار كعملة عالمية. فقد هاجم زعيم "القاعدة" الولايات المتحدة قائلاً: "إن بوش الإبن ومن قبله أعضاء الكونغرس رفضوا هذه الإتفاقية إرضاءً للشركات الكبرى، فهؤلاء هم الجناة الحقيقيون على المناخ العالمي".

أعتقد أن أميركا لم تنجح في محو صورتها كقوة كبرى معادية للإسلام والمسلمين، ما دامت حروبها الخارجية تتمركز على أرضهم من أفغانستان وباكستان إلى العراق وفلسطين. وتبقى فلسطين المعيار الأساس في نجاح أميركا أو عدم نجاحها في تعديل صورتها من الإسلام والمسلمين. وحتى الآن كان فشلها ذريعاً.

غسان العزي : على الأرجح أن أوباما حقق خطوات مهمة في هذا السبيل بمعنى انه يصعب القول ان الصورة النمطية للإدارة السابقة المعادية للإسلام والمسلمين قد زالت تماماً من الوجود أو اضحت من ماضٍ سحيق، لكن في الوقت نفسه من الصعوبة بمكان تقديم الدليل على ان الإدارة الحالية تمارس سياساتها من زاوية عداء متأصل حيال المسلمين ليس فقط لأن الرئيس باراك حسين أوباما ترعرع في بيئة إسلامية في أندونيسيا أو أنه جاء من والد مسلم ولكن لأنه ليس في ممارسات ادارته ما يشي بأنها ترى إلى المسلمين ما كانت تراه الإدارة السابقة □

## السياسة الخارجية الأميركية: سنة أولى من حكم أوباما

جاسم الحريري \*

### I - محصلة عام في السياسة الخارجية

بعدما أطلق أوباما وعوده الوردية بتغيير سياسة الولايات المتحدة الأميركية الخارجية تجاه العالم بصورة عامة وتجاه الوطن العربي والشرق الاوسط بصورة خاصة، طرح المراقبون الاستراتيجيون تساؤلات مهمة عدة منها على سبيل المثال لا الحصر: - هل سيكون عصر أوباما عصراً يبتعد عن المشاحنات والتوترات والحروب التي كانت سائدة في حكم سلفه جورج بوش؟ وهل سيدشن العالم في الولاية الحالية لباراك أوباما بيئة دولية تختفي فيها تقاطع المصالح الدولية والإقليمية؟ وهل ستنتهي معاناة الشعب العربي الفلسطيني وهو لا يزال يقارع همجية ووحشية الممارسات الإسرائيلية واخرها في حرب ومجزرة غزة؟ وهل ستنعم المنطقة العربية ومنطقة الخليج بحال من الهدوء بعيداً من أستهداف إيران وأشغال المنطقة بحرب إقليمية طاحنة؟ وما هو مصير قوات الاحتلال الأميركي في العراق خاصة بعد أن شكك ونصح بول بريمر مبعوث الاحتلال الأميركي بعد غارنر رئيسه بعدم التسرع وسحب جنود الاحتلال من العراق خشية تردي الأوضاع الامنية هناك؟ وهل سيعالج أوباما قضية حربه في أفغانستان؟ وما هو مستقبل تواجد العسكري هناك؟ وهل ستبدأ معركة جديدة بين الولايات المتحدة الأميركية والتنظيمات المتشددة ابتداء من اليمن؟

تساؤلات ثم تساؤلات تطفو على السطح، وعليه لا بد من القول وبعد مرور سنة على حكم أوباما يتحتم على الباحثين العرب أن يخرجوا بتطبيقات رصينة تجاه هذا الملف الشائك ولغرض الاجابة عن التساؤل الاول لا بد من أن نعالج بعض العناوين الرئيسية لفهم ثوابت ومتغيرات السياسة الخارجية الأميركية. في البداية يجب أن نعرف شيئاً عن الرئيس أوباما والتعريف بنبذة موجزة من حياته الشخصية والسياسية، وان تأثير هذه الحالة له علاقة بالسلوك السياسي لصانع القرار الأميركي (أوباما) بالرغم أن الولايات المتحدة الأميركية فيها دوائر صنع قرار عديدة ومنها دائرة الرئاسة الأميركية وتأثيرها النسبي

(\* أستاذ العلاقات الدولية والإستراتيجية. كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد.

على صنع القرارات، وخصوصاً القرارات في المجال السياسي الخارجي، فضلاً عن فائدة اخرى نتوخاها من عرض هذه النبذة لأنها ستعيننا على تحليل خطاب أوباما منذ توليه الرئاسة ولحد الان، والجذور الاجتماعية التي سخرها أوباما في خطابه تجاه العالم العربي والإسلامي بالرغم من تمسكه بثوابته الشخصية تجاه الإسلام والتي اعلن عنها في اكثر من مناسبة، ثم يجب أن نعرض على ثوابت ومتغيرات السياسة الخارجية الأميركية ثم التعريف بابرز مميزات خطاب أوباما السياسي، ثم اللوج إلى موضوع ابراز ملامح السياسة الخارجية لأوباما خلال السنة الاولى من ولايته الرئاسية ليتم الوصول إلى أستنتاجات عدة والاجابة عن التساؤل الآتي: مالذي حققه أوباما وما الذي لم يحققه من وعود في العالم في شكل عام.

### نبذة موجزة عن حياة باراك أوباما الاجتماعية والسياسية

- ولد السيناتور الديمقراطي باراك حسين أوباما في هاواي احدى الولايات المتحدة الأمريكية في ٤ اغسطس من عام ١٩٦١ لاب كيني مسلم أسود، وأم أمريكية بيضاء ومن ولاية كنساس، ثم انفصل الزوجان وباراك في الثانية من عمره ليعود الاب إلى كينيا ليصبح اقتصادياً بارزاً قبل أن يتوفى في حادث سيارة عام ١٩٨٢.
- أنتظم أوباما لمدة سنتين في مدرسة اسلامية، ثم ألتحق بعد ذلك بمدرسة كاثوليكية، وأعتنق أوباما المسيحية البروتستانتية بحسب طائفة كنيسة المسيح المتحدة.
- حصل على درجة البكالوريوس في العلوم السياسية، والعلاقات الدولية عام ١٩٨٣، وفي عام ١٩٩١ تخرج باراك أوباما من كلية الحقوق بجامعة هارفارد ودرس القانون كمحاضر في جامعة الينوي في عام ١٩٩٣.
- عام ١٩٩٦ انتخب أوباما كعضو في مجلس شيوخ ولاية الينوي لينخرط بشكل رسمي في أنشطة الحزب الديمقراطي.
- في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٤ برز أوباما ليصبح واحد من اصغر اعضاء مجلس الشيوخ سناً وأول سيناتور اسود في تاريخ مجلس الشيوخ الأمريكي.
- في شباط/فبراير ٢٠٠٧ اعرب عن اعتزامه خوض سباق الرئاسة الأمريكية وبالفعل دخل السيناتور الاسود السباق لنيل ترشيح الحزب الديمقراطي للانتخابات الرئاسية.
- خاض أوباما في سبيل الوصول إلى الرئاسة منافسة حادة مع السيناتور هيلاري كلينتون، رافعا شعار "التغيير" واستطاع في خلالها أن يحسم المعركة لمصلحة وينال ترشيح الحزب الديمقراطي رسمياً في حزيران/يونيو ٢٠٠٨.
- خلال حملته الانتخابية، رفع أوباما شعار التغيير وانتقد السياسات الأمريكية في عهد بوش من خلال:
- اعتماد الولايات المتحدة الأمريكية على "القوة العسكرية" في ادارة سياستها الخارجية،

ودعا إلى ضرورة إعادة الاعتبار للدبلوماسية والتعاون مع حلفاء الولايات المتحدة الأميركية في القضايا المختلفة.

- أبدى أوباما اعتراضه على غزو العراق عام ٢٠٠٣ وصوت ضد الخطة التي قدمها الرئيس بوش لزيادة قوات الاحتلال الأميركي في العراق، ووعد بتخفيض مسؤول للقوات الأميركية في العراق، الأمر الذي سيسمح بزيادة عدد القوات في أفغانستان والتي يرى فيها الجبهة الامامية في الحرب على الإرهاب.

#### السياسة الخارجية الأميركية : الثوابت والمتغيرات

تؤكد اغلب الدراسات الاكاديمية الرصينة أن السياسة الخارجية الأميركية تغلف بوجود أربعة مدارس مترابطة، حيث تبرز واحدة من هذه المدارس في فترة زمنية معينة وتنزوي المدارس الثلاثة الأخرى لتفسح في المجال للمدرسة البارزة في المشهد السياسي الأميركي.

وترى هذه الدراسات ان كل الرؤساء الأميركيون لا ينظرون إلى العالم الخارجي من البعد الإيدلوجي أو من خلال طبيعة المناهج الأكاديمية، ولكنهم ينظرون إلى العالم من خلال اعين أربعة من الرجال العظام الذين ظهوروا في التاريخ الأميركي في فترات مبكرة. هؤلاء هم على التوالي الكسندر هاميلتون، وودرو ويلسون، توماس جيفرسون، توماس جاكسون، حيث كان الاول اول وزير للخزانة في التاريخ الأميركي، بينما كان الآخرون رؤساء للجمهورية. وعليه يمكن تقسيم أربعة مدارس واضحة في السياسة الخارجية الأميركية وهي:

#### - الهاميلتونيون Hamiltonians

هؤلاء يمكن ان يطلق عليهم "النفعيون" ويتبنون الرؤية التي دعى اليها توماس هاميلتون وهي تنادي بحكومة قوية وقوات مسلحة قادرة، وان تتبنى الادارة الأميركية نظرة واقعية للعالم، وتسعى إلى تنمية المصالح الأميركية في الداخل والخارج على السواء.

#### - الويلسونيون Wilsonians

هؤلاء يمكن ان يطلق عليهم "المثاليون" ويتفقون مع الهاميلتونيين في اعتماد سياسة خارجية نشطة، ولكنها لا تهدف أساساً إلى تنمية المصالح الذاتية، بل إلى نشر وترسيخ المبادئ الديمقراطية في كل أنحاء العالم.

#### - الجيفرسونيون Jeffersonians

وهؤلاء يمكن ان يطلق عليهم صفة "الانعزاليون" ويسعون إلى تقليل ارتباطات الولايات المتحدة الخارجية إلى الحد الأدنى الممكن وهم يسعون إلى تفكيك ما يسمى دولة "الامن القومي".

#### - الجاكسونيون Jacksonians

وهؤلاء هم يمكن ان يطلق عليهم "المتشددون" وهم صقور السياسة الخارجية ويعبرون عن الافكار الشعبوية، وهم متشككون دائماً في السياسات الثلاث السابقة، فلا يميلون لتركيز الجماعة الاولى على البنزس، وينتقدون مثالية الجماعة الثانية، وضعف الجماعة الثالثة. ويرى المحللون أن الرؤساء الأميركيين يختلفون في طريقة ونسبة تبنيهم للسياسات الاربع المختلفة، فالبعض يميل لعمل تحالف بين اكثر من اتجاه، بينما البعض يميل لمجموعة بعينها. فمثلا الرئيس بوش الاب تبنى سياسات الهاميلتونيين أي توظيف السياسة الخارجية من أجل دعم المصالح الأميركية في الخارج . ويلاحظ المراقبون أن كثيراً من أنصار بوش (الاب) الهاميلتونيين ينددون بسياسة ابنه في العراق، وعارضوها وخصوصاً جورج دبليو بوش حاول المزج بين جناحين متناقضين هما الدبلوماسية والجاكسونية أي سياسات تسعى لنشر الديمقراطية، وسياسات عنيفة تلجا لاستخدام القوة في مواجهة اعداء أميركا، وكانت النتيجة فشل السياسة الخارجية الأميركية، وتداعت الظروف حتى وصل مرشح أسود من الحمايم على الرئاسة، بينما القوات الأميركية تقاتل خارج الحدود.

### موقف أوباما من الإسلام

خُذع العالم العربي والإسلامي بكل ما سمعه عن أوباما وعن ابوه وجدته المسلمة وعن دراسته في مدرسة اسلامية لمدة سنتين والتي نفاها لاحقاً، بالرغم من اعتناقه المسيحية البروتستانتية، ناهيك بتوظيف ارثه الاجتماعي والديني في خطاب القاهرة الذي سيناقش لاحقاً لفتح صفحة جديدة مع العالم العربي والإسلامي بعد ان تشنعت العلاقة بين الولايات المتحدة الأميركية والمنطقة العربية والعالم الإسلامي بفعل سياسات بوش (الابن) الرامية إلى فرض الهيمنة على الشعوب رغماً عنها . وعليه يؤكد أوباما حول علاقته بالإسلام قائلاً "إنه من المهم أن أشدد على الحقائق، أنا لست مسلماً ولم أكن أبداً كذلك، لم أدرس أبداً في مدرسة اسلامية، وأنا لم أؤد اليمين في المجلس على المصحف، أنا مسيحي ملتزم، وكنت قد عشت في اندونيسيا لاربع سنوات في طفولتي، درست خلالها في مدارس علمانية. وقد اديت اليمين لتولي المنصب مستخدماً إنجيل الاسرة، ولعل جذور عائلتي في افريقيا وتجربة طفولتي في اندونيسيا، قد منحني بعض الافكار التي قد تمكني من ممارسة دبلوماسية ناجعة في العالم الإسلامي. وانا بالتأكيد امل ذلك وهذه القدرة يمكن ان تستخدم في افادة المصالح الأميركية وامن "إسرائيل" أنا امل ان تساعد في بناء علاقة افضل بين بلدينا وبين العالم الإسلامي". ونستنتج مما ذكر ان أوباما لا يريد اطلاقاً أن يكون هناك مجرد ايحاء بأنه من أصل مسلم، لا بل لا يعير أي اهتمام بربط نفسه بالإسلام بقدر ما سخر حياته الاجتماعية في

خدمة وتحقيق المصالح العليا للولايات المتحدة الأميركية في المنطقة وعلى رأسها الحفاظ على أمن "إسرائيل" ومواصلة مايسمى الحرب على "الإرهاب"، وضمان تدفق النفط من منطقة الخليج إلى الغرب بعامه وأميركا بخاصة.

### موقف أوباما من العالم الإسلامي

- أكد أوباما في خطاب تنصيبه أن الولايات المتحدة ستبحث عن سبيل جديد مبني على الاخر والمصالح المشتركة للمضي قدماً مع العالم الإسلامي.
- أكد أوباما في مقابلة له باعتباره الرئيس الأميركي المنتخب الـ ٤٤ على تنفيذ وعوده الانتخابية باستعادة صداقية الولايات المتحدة الأميركية في الخارج، وتحسين صورتها على مستوى العالم من خلال انتهاج الدبلوماسية، والتعامل من منظار التعاون الدولي.
- عزم الإدارة الأميركية على اغلاق معتقل غوانتانامو.
- الحديث عن تخفيض حجم التواجد الأميركي لقوات الاحتلال الأميركي في العراق.
- إعلان أوباما أنه سيوجه خطابه إلى العالم الإسلامي من القاهرة باعتبارها عاصمة اسلامية كبرى.
- تعيين الإدارة الأميركية، داليا مجاهد، المصرية الأميركية المسلمة ضمن فريق المستشارين .
- زار أوباما تركيا خلال اول جولة خارجية كرئيس للولايات المتحدة وألقى خطابا في البرلمان التركي، واعتبره المراقبون فتح صفحة جديدة مع العالم الإسلامي إذ قال إن الولايات المتحدة ليست ولن تكون في حالة حرب مع الإسلام.

### مرتكزات وعود أوباما

#### خطاب أوباما في البرلمان التركي:

- زار الرئيس الأميركي باراك أوباما تركيا في بداية جولة أوروبية في نيسان/أبريل ٢٠٠٩ وقد ألقى خطاباً مهماً في البرلمان التركي، ويرى الدكتور محمد نعمان جلال، باحث وسفير مصري سابق، أن أهمية هذا الخطاب متأتية من أن البعض اعتبره هو الخطاب الموعود للعالم الإسلامي واستند برأيه في ذلك إلى شواهد عدة وهي:-
- إن تركيا دولة اسلامية، ولكنها غربية التوجه، فهي عضو في حلف الأطلسي، وهي ذات علاقة استراتيجية مع "إسرائيل".
- إن تركيا كانت هي نقطة الاحتكاك بين الإسلام والمسيحية لكونها كانت الدولة العثمانية التي حكمت المنطقة لعدة قرون، واحتكت مع أوروبا المسيحية في أكثر من موقع، ثم أن الاستعمار الاوروبي للشرق الأوسط، جاء على أنقاض الدولة العثمانية بعد هزيمتها في

الحرب العالمية الاولى، وقيام ثورة مصطفى كمال اتاتورك وفكرها العلماني، والغاء الخلافة الإسلامية.

- ان تركيا نجحت في بناء نموذج اسلامي معتدل يقوم على تعدد الاحزاب والانتخابات الديمقراطية النزيهة ورغم وصول حزب إسلامي للسلطة (حزب العدالة والتنمية) بقيادة رجب طيب اردوغان، ورغم بروز المد الإسلامي فيها على الأقل فيما يتعلق بالثياب، وبعض الممارسات الدينية، الا انها حافظت على التوازن بين الإسلاميين والعلمانيين، رغم تراجع الاخيرين في الانتخابات، كما انها حرصت على تطوير انظمتها الداخلية في احترام حقوق الانسان، والحرية، والتنمية الاقتصادية، بغية تحقيق حلمها الذي يراودها منذ عشرات السنين بالانضمام إلى الإتحاد الأوروبي.

- إن تقوية الدور التركي بإلقاء الخطاب الموجه للعالم الإسلامي من خلالها سيعزز دورها كدولة محورية في الاستراتيجية الغربية بعامة والأميركية بخاصة في مواجهة النزعات الراضة لقبولها في الإتحاد الأوروبي، كما سيقوي دورها كقوة إقليمية وعلاقاتها مع الدول العربية لموازنة الصعود الإيراني في المنطقة، وأخيراً سوف يحظى دورها الجديد في دول الخليج بالقبول من خلال مبادرة التعاون للناو.

ويرى المراقبون ان خطاب أوباما في تركيا كان مسخراً لأغراض الاشادة بالدور التركي في المنطقة وفي الاقليم لا بل دورها في العالم.

#### خطاب أوباما في جامعة القاهرة:

##### أ. الموقف من الإسلام :

أولاً: ابدى أوباما اعترافه أن الاستعمار في العصر الحديث ساهم في تقوية التوتر بين الإسلام والغرب بسبب "حرمان العديد من المسلمين من الحقوق والفرص كما ساهمت في ذلك الحرب الباردة التي عولت فيها كثير من البلدان ذات الاغلبية المسلمة كأنها مجرد دول وكيلة لا تجب مراعاة تطلعاتها الخاصة".

ثانياً: قدم أوباما تعهدات للبحث عن بداية جديدة بين الولايات المتحدة والمسلمين حول العالم "أستناداً إلى المصلحة المشتركة، والاحترام المتبادل وهي بداية مبنية على اساس حقيقة ان أميركا والإسلام لا يعارضان بعضهما بعضاً ولا داعي ابداء للتنافس فيما بينهما، بل ولهما قواسم ومبادئ مشتركة يلتقيان عبرها، الا وهي مبادئ العدالة، والتقدم، والتسامح، وكرامة كل انسان".

ثالثاً: اشاد أوباما بفضل الحضارة الإسلامية على العالم اذ يقول "حصلنا بفضل الثقافة الإسلامية على اروقة عظيمة، وقيم مستدقة، عالية الارتفاع، وكذلك على اشعار وموسيقا خالدة الذكر، وفن الخط الراقي، وأماكن التأمل السلمي.. واطهر الإسلام على مدى التاريخ قلباً وقالباً الفرص الكامنة في التسامح الديني والمساواة بين الأعراق".

رابعاً : كشف أوباما شيئاً عن حياته وتأثير الإسلام فيها قائلاً "تعرفت إلى الإسلام في قارات ثلاث قبل مجيئي إلى المنطقة التي نشأ فيها الإسلام ومن منطلق تجربتي الشخصية استمد اعتقادي بأن الشراكة بين أميركا والإسلام يجب أن تستند على حقيقة الإسلام وليس إلى ماهو غير إسلامي. وأرى في ذلك جزءاً من مسؤوليتي كرئيس للولايات المتحدة حتى اتصدى للصور النمطية السلبية عن الإسلام وإنما ظهرت".

#### ب - الموقف من الحرب في أفغانستان:

أولاً: يعترف أوباما ان اكلاف حرب افغانستان باهظة على أميركا، لأنها متأتية كما يقول بسبب "خسائرنا بين الشباب والشابات. هناك تسبب لأميركا بالغ الأذى، كما يسبب استمرار هذا النزاع تكاليف باهظة، ومصاعب سياسية جمة".

ثانياً: يعبر عن رغبته بعودة جنوده، لكنه يربط ذلك بعدم وجود أي مقاتلين تجاه جيشه، إذ يقول "نريد بكل سرور ان نرحب بكل جنودنا وهم عائدون إلى الوطن، إذا استطعنا ان نكون واثقين من عدم وجود منطق العنف في افغانستان والآن في باكستان والذين يحرصون على قتل أكبر عدد ممكن من الأميركيين ولكن لسنا واثقين من ذلك بعد".

ثالثاً: لايتحرج أوباما من الاعتراف حقيقة مهمة مفادها "نعلم أن القوة العسكرية وحدها لن تكفي لحل المشكلات في كل من افغانستان وباكستان" لذلك يطرح مشروعاً استثمارياً لاستثمار ١.٥ مليار دولار سنوياً على مدى السنوات الخمس القادمة لإقامة شراكة مع الباكستانيين لبناء المدارس، والمستشفيات، والطرق، والمؤسسات التجارية، وكذلك توفير مئات الملايين لمساعدة النازحين، وهذا أيضاً السبب وراء قيامنا بتخصيص ما يربو على ٢.٨ مليار دولار لمساعدة الافغان على تنمية اقتصادهم وتوفير خدمات يعتمد عليها الشعب".

#### ج - الحرب واحتلال العراق:

أولاً: يشير أوباما إلى أن قرار الحرب على العراق كان بصورة انفرادية، إذ يقول "وقع القرار بحرب العراق بصفة اختيارية ما أثار خلافات شديدة سواء في بلدي أو في الخارج". ناهيك بأن أوباما يعيد تكرار فكرة عدم فائدة استخدام القوة في تصريف السياسة الخارجية الأميركية إذ يقول "أن أحداث العراق قد ذكرت أميركا بضرورة استخدام الدبلوماسية، وبناء الاجماع الدولي لتسوية مشكلاتنا كلما كان ذلك ممكناً. وفي الحقيقة، فإننا نستذكر كلمات توماس جيرفوسون الذي قال "أتمنى ان تنمو حكمتنا بقدر ما تنمو قوتنا، وأن تعلمنا هذه الحكمة درساً مفاده أن القوة ستزداد تحطماً كلما قل استخدامها".

ثانياً: يؤكد أوباما أن أميركا لا تريد البقاء في العراق لمدة طويلة من طريق اقامة معسكرات دائمة، فضلاً عن عزمه الجدي لسحب قوات الإحتلال من العراق بحلول عام ٢٠١٢، إذ يقول "أوضحت للشعب العراقي إننا لا نسعى لإقامة أي قواعد في العراق، او المطالبة

العراق بأي من أراضيه أو موارده، يتمتع العراق بسيادته الخاصة به بمفرده. لذا اصدرت الأوامر بسحب الوحدات القتالية مع حلول شهر آب/اغسطس ٢٠٠٩ ولذا سوف نحترم الاتفاق المبرم مع الحكومة العراقية المنتخبة بأسلوب ديمقراطي والذي يقتضي سحب القوات القتالية من المدن العراقية بحلول شهر تموز/يوليو، وكذلك سحب جميع قواتنا بحلول عام ٢٠١٢، سوف نساعد العراق على تدريب قواته الامنية وتنمية اقتصاده، ولكننا سنقدم الدعم للعراق الامن والموحد بصفتنا شريكا له وليس بصفة الراعي".

#### د - الصراع العربي الإسرائيلي:

أولاً: أعاد أوباما ذكر حقيقة مهمة تؤمن بها أميركا ورؤوسائها الـ ٤٤ وهي "متانة الأواصر الرابطة بين أميركا و"إسرائيل" ولا يمكن قطع هذه الأواصر أبداً وهي تستند إلى علاقات ثقافية وتاريخية، وكذلك الاعتراف برغبة اليهود في وجود وطن خاص بهم".

ثانياً: لا يخفي أوباما تأثير افرازات الإحتلال الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني إذ يقول "لا يمكن نفي ان الشعب الفلسطيني مسلمين ومسيحيين قد عانوا أيضا في سعيهم إلى إقامة وطن خاص لهم. وقد تحمل الفلسطينيون آلام النزوح على مدى أكثر من ستين سنة حيث ينتظر العديد منهم في الضفة الغربية وغزة والبلدان المجاورة لكي يعيشوا حياة يسودها السلام والأمن. هذه الحياة التي لم يستطيعوا عيشها حتى الآن، يتحمل الفلسطينيون الاهانات اليومية صغيرة كانت أم كبيرة والتي هي ناتجة من الإحتلال. وليس هناك أي شك في أن وضع الفلسطينيين لا يطاق، ولن تدير أميركا ظهرها للتطلعات المشروعة للفلسطينيين إلا وهي تطلعات الكرامة، ووجود الفرص، ودولة خاصة بهم".

ثالثاً: بيدي أوباما لغة غريبة للقضاء على المقاومة الفلسطينية بالقول "يجب على الفلسطينيين ان يتخلوا عن العنف، أن المقاومة عن طريق العنف والقتل اسلوب خاطى ولا يؤدي إلى النجاح. لقد عانى السود في أميركا طوال قرون من الزمن من سوط العبودية ومن مهانة التفرقة والفصل بين البيض والسود، ولكن العنف لم يكن السبيل للذين مكثهم من الحصول على حقوقهم الكاملة والمتساوية، بل كان السبيل إلى ذلك اصرارهم وعزمهم السلمي على الالتزام بالمثل التي كانت بمنزلة الركيزة التي اعتمد عليها مؤسسو أميركا وهذا هو التاريخ نفسه الذي شاهده شعوب كثيرة تشمل جنوب افريقيا وجنوب اسيا وأوروبا الشرقية واندونيسيا".

رابعاً: يدعو أوباما إلى تفعيل مبادرة السلام العربية كبادرة للتطبيع العربي الإسرائيلي ويرى أوباما "انه يجب ان تكون هذه المبادرة سببا لحثهم على العمل لمساعدة الشعب الفلسطيني على تطوير المؤسسات التي سوف تعمل على مساندة دولتهم ومساعدة الشعب الفلسطيني على الاعتراف بشرعية "إسرائيل" واختيار سبيل التقدم بدلا من السبيل الانهزامي الذي يركز الاهتمام على الماضي".

#### هـ - البرنامج النووي الإيراني:

أولاً: يرى أوباما ان الأسلحة النووية هي مصدر "للتوتر الذي طرأ مؤخراً على العلاقات بين الولايات المتحدة وجمهورية إيران الإسلامية التي ظلت لسنوات كثيرة تعبر عن هويتها من خلال موقفها المناهض لبلدي والتاريخ بين بلدينا تاريخ عاصف بالفعل".

ثانياً: يؤكد أوباما على إستراتيجية اميركية سابقة بمنع امتلاك السلاح النووي لباقي دول العالم ومنها إيران من باب تفعيل مبدأ "الاحتكار النووي" للدول الكبرى اذ يؤكد "التزام أميركا بالسعي من أجل عدم امتلاك أي من الدول للأسلحة النووية، وينبغي على اية دولة بما في ذلك إيران ان يكون لها حق الوصول إلى الطاقة النووية السلمية اذا امتثلت لمسؤولياتها بموجب معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية، وهذا الإلتزام هو التزام جوهري في المعاهدة ويجب الحفاظ عليه من أجل جميع المتزمين".

#### السياسة الخارجية في عهد أوباما

اعتقد ان من المناسب في هذا المكان أن نرجع إلى ما يؤمن به أوباما من مبادئ وتوجهات لنرى مدى تأثيرها في سلوكه السياسي الخارجي، وينطبق ذلك على ما كتبه من مؤلفات ولعل هنا يجدر الإشارة إلى كتابه المعنون بإسم "جراًة الامل" والذي تناول ملفات دولية ساخنة عدة لعل من ابرزها:

#### أ - الحرب واحتلال العراق:

يؤكد أوباما انه عارض الحرب الأميركية في عام ٢٠٠٣ على العراق ناهيك بتشكيكه بحجج الإدارة الأميركية آنذاك حول مزاعمها لتبرير احتلال العراق، منها امتلاك العراق أسلحة دمار شامل اذ يقول "ان غزو العراق سيثبت انه خطيئة باهظة التكاليف" ووصف أوباما غزو العراق بأنه "غزو أميركي أخرق ومتهور وطائش، انتهك سيادة بلد إسلامي فحفر بدوره عمليات" تمرد "واسعة اعتمدت على الشعور الديني والكرامة الوطنية".

ولقد طال أوباما بسحب القوات الأميركية من العراق، لكنه رفض من جانب آخر أي انسحاب غير مدروس يمكن ان يجر إلى اندلاع حرب طائفية بين أبناء الشعب العراقي "مع احتمال امتداد الصراع ليشمل الشرق الأوسط برمته".

ويشير أوباما في كتابه إلى زيارته إلى العراق عام ٢٠٠٦ حيث كان العراق يعيش "أزمة حقيقية" من الاحتقان الطائفي والعرقي، ما عزز من اقتناعه بأن أي انسحاب غير مدروس من العراق سيدفع البلد إلى متاهات "الحرب الداخلية". ويشير أوباما إلى ان بلاده تريد تحقيق نوع من الاستقرار في العراق!!!، وضمان ألا يقع في أيدي معادية لأميركا ومنع تحوله إلى قاعدة لـ "الإرهاب" وأن يكون الانسحاب على مراحل.

### ب - الحرب على "الإرهاب":

يرى أوباما أن سياسة أميركا الخارجية في محاربة الإرهاب الذي هو صراع مسلح، وحرب افكار يجب ان "تقوم على الموازنة القائمة على إبراز القوة العسكرية بصورة حكيمة، وزيادة التعاون مع الامم الأخرى، وان التصدي لمشكلات الفقر في العالم والدول الفاشلة أمر حيوي لمصالح امتنا وليس مسألة احسان وصدقة" وهو يرفض الآراء التي تدعى أنه ليس أمام أميركا في سياستها الخارجية الا ان تختار الحرب أو الانعزال. ويشير أوباما إلى ان الادارة الأميركية افتقدت صناعة سياسة خارجية "لا تكتفي بالتكيف مع التخطيط العسكري والعمليات الاستخباراتية، والدفاعات الوطنية امام تهديد شبكات الإرهابيين فقط، بل تبني اجماعاً دولياً جديداً حول التهديدات العابرة لحدود الدول" وهو ينتقد الادارة الأميركية لفشلها في تحقيق انجاز يعترف به، إذ قدم في مقابل ذلك "القوة النارية الأميركية، والعزيمة الأميركية، وتحالف الراغبين".

### ج - التعامل مع إيران:

كرر أوباما ما رده بوش (الأبن) بحق دول مارقة وفق وجهة نظره كإيران، وكوريا، ودول منافسة مثل الصين، وأن من حق أميركا اللجوء إلى العمل العسكري الاحادي لمواجهة أي تهديد وشيك وكذلك لضربات استباقية ولكن "من الافضل ان تكون اهدافنا مشروعة واخلاقية" وينصح أوباما بالتصرف بأسلوب جماعي لا احادي عند استخدام القوة، لان ذلك يخفف من عبء العمل العسكري ويحسن الوضع الاخلاقي الأميركي كما يدعو إلى ان تقوم السياسة الأميركية على بذل المساعدة من اجل "تفليس مجالات إنعدام الأمن، والفقر، والعنف في شتى أنحاء العالم، واعطاء مزيد من الشعوب الحق في المشاركة في النظام الذي خدمنا".

### وعدو أوباما: مالذي حققه وما الذي لم يحققه؟

تضع هذه المقاربة الباحث المنصف في وضع معقد ومتشابك لا يحسد عليه، فليس هناك حدود بين ما وعد به وما نفذه لحد الان، لماذا؟ لان بعض القضايا لا تزال متقدة، وغير محسومة، ولاتوجد عوامل تعمل على استقرار المشهد السياسي لها ويمكن تأشير بعض الملاحظات حول ذلك:

- قد تكون محاولات أوباما لإرسال رسالة إلى العرب والمسلمين مفادها أن عهده سيكون عهداً يكتنفه شيئاً من التغيير حول الموقف الأميركي من العرب والمسلمين بعامه الا ان المصالح الأميركية كانت حاضرة في مطالبة أوباما من الغير (العرب والمسلمين) بضرورة تغيير نظرتهم إلى الغرب و(إسرائيل) بصورة تلقائية لتنقية الأجواء بين الطرفين وكأني أرى في سياسة أوباما ميلاً نحو استراتيججية ما يسمى بـ "حرق المراحل" وهي

الإستراتيجية التي استخدمتها في الحقيقة "إسرائيل" في المفاوضات العربية الإسرائيلية على طول الصراع العربي الإسرائيلي، كل ما تعرض له العرب والمسلمين جراء السياسات الأميركية والإسرائيلية يريد أوباما ان يضع بينها وبين حدود ولايته "سوراً" او "جداراً" عازلاً ولا اعرف كيف يستطيع الرئيس الأميركي ان يغلق عيون الأمهات الثكالي في فلسطين والعراق بنظارة سوداء لينسين فلذات اكبدهن التي ذهبت سدى جراء تلك السياسات التي وضعت فجوة اعتقد انها لايمكن غلقها بسهولة، فلا أعرف كيف يطلب أوباما من الشعب الفلسطيني إلقاء سلاحه وهو أيقن (أي الشعب الفلسطيني) من فشل الخيار السلمي مع "إسرائيل" لانه عاش مؤخرأً مجزرة غزة التي عبرت عن همجية وعنصرية "إسرائيل" في تعاملها مع العرب الفلسطينيين.

ومن جانب اخر، هل سينجح أوباما في سحب جنوده من العراق بعد مسيرة ثمانية او تسعة سنوات من الاحتلال؟ هل يستطيع فعلاً ذلك وخصوصاً ان هناك أصواتاً أميركية مدنية وعسكرية تحذره من ترك العراق، لأن هناك خشية من نفوذ القوى الإقليمية (تركيا وايران) ولا أعرف كيف سيعالج أوباما هذا الامر رغم أنه يخشى من الإنسحاب المبكر وغير المدروس، من العراق خوفاً من اندلاع حرب اهلية في العراق.

والملف الآخر الذي أرى أن أوباما قد يتعرض فيه إلى مزيد من الازمات في افغانستان فهو يبرر استخدام القوة هناك للقضاء على آخر مسلح هناك، بالرغم أن الأميركيين وخصوصاً النخبة منهم يحذرونه من التعامل مع ملف افغانستان وحتى باكستان بحركة واحدة تشبه حركات الشطرنج واعتقد ان هذا الوضع سيضع أميركا في ازمة جديدة لا يمكن أن تحسمها بالحل العسكري. ومن جانب آخر يبدو أن بذور إندلاع أزمة إقليمية جديدة في اليمن وإمكانية دخول أميركا على هذا الخط سيعيد الكرة إلى الادارة الأميركية التي انزلت في ما يسمى الحرب على "الإرهاب" بعد ان اکتويت المنطقة العربية في العراق بما نادى به الإدارة الأميركية السابقة بان حربيها في العراق هي امتداد لمحاربة قوى "الإرهاب" وكان العراق اختارته الادارة في واشنطن لتصفية الحسابات مع اية جهة تعادي السياسة الأميركية في المنطقة.

## II - أوباما والشرق الأوسط

أعتقد أن هذا السؤال يمكن تقسيمه إلى قسمين رئيسيين، وهو كما يأتي:  
س: كيف تعامل باراك أوباما مع مشكلات الشرق الأوسط (العراق، إيران، أفغانستان)؟  
وما الذي تغير ولم يتغير من سياسة أوباما عن سلفه بوش في تلك الملفات؟  
س: هل هناك في المستقبل المنظور مواجهة بين الولايات المتحدة الأميركية والتنظيمات المتشددة؟

### أ - أوباما ومشكلات الشرق الأوسط:

سأتكلم الآن حول هذا الموضوع بالإستناد إلى المصادر الأميركية التي تساعدنا على فهم كيفية تعاطي أوباما مع مشكلات الشرق الأوسط.

بادى ذي بدء، يمكن القول إن هناك حقيقة مهمة يتفق عليها أغلب المصادر الأميركية مفادها أن الرئيس أوباما وسلفه جورج دبليو بوش هما مجرد وجهين (لعملة واحدة)، وتشير تلك المصادر إلى عدم وفاء أوباما بتعهداته التي اطلقها في حملته الانتخابية بالنأي عن سياسات سلفه بوش. وهذا ما أكدته مجلة تايم الأميركية بالقول "إنه بعد عام على تولي أوباما منصبه فإن أي مراقب سيصل إلى نتيجة مؤاها أن الرئاسة اشبه بالاستيلاء على القطار بدلا من الجلوس خلف مقود القيادة بالسيارة لانك لا تستطيع توجيه القطار بل تستطيع التحكم بسرعه".

وأوضحت تايم "أن المواقف السياسية الجوهرية التي تبناها أوباما أثبتت إنها شبيهة بتلك التي كانت في الفترة الثانية من ولاية سلفه، وذلك بالرغم من وعود أوباما بإزالة الأجواء السلبية التي خلفتها إدارة بوش ومد اليد للأعداء، والاستشارة، والتنسيق مع الحلفاء".

وأوضحت المجلة الأميركية رأيها بالسياسات الأميركية تجاه العراق بالقول "إن بوش مهد قبيل مغادرة منصبه الطريق أمام أوباما للإسحاب من خلال التفاوض على الاتفاقية الأمنية مع الحكومة العراقية والتي تتضمن موعداً نهائياً للإسحاب من العراق"، وأضافت "إن أوباما قد يسعى للإسحاب المبكر بهدف توفير الموارد لحربه في افغانستان، وإذا لم يفعل فإن الاتفاقية ستوفر إنسحاباً كاملاً بنهاية ٢٠١١". وأشارت إلى ان العراق ما زال يفتقر إلى الاستقرار وإدارة أوباما تعمل من خلال القنوات الدبلوماسية لإستمالة العراقيين من أجل ادارة شؤونهم، وصراعتهم الاثنية والطائفية، والسياسية ولكن كل ذلك من خلال نفوذ ضئيل وبالتالي تأثير محدود تماماً، كما كان عليه الأمر في عهد بوش".

وأضافت مجلة تايم "إن اللحظة التي كانت فيها الولايات المتحدة قادرة على احداث تغيير في النتيجة بالعراق تهيأت قبيل رحيل بوش ودور أوباما الان لا يعدو الا اكمال المهمة".

ومن جانب اخر، أكدت مجلة تايم "أن أوباما لجأ، كما فعل بوش، إلى التصعيد في افغانستان بعد ان دعا في البداية إلى التركيز على القاعدة والنأي بنفسه عن بناء الامة في افغانستان، وسيستمر التصعيد حتى بعد ولاية الرئيس الحالية" حسب التايم، وعليه ترى المجلة "أن أوباما تبنى لهجة المجابهة اكثر من سلفه في الخطاب الموجه للحلفاء، والضعفاء مثل الرئيس الافغاني، حامد كرزاي، والقيادة الباكستانية، فهو لا يزال معتمداً، شأنه في ذلك شأن بوش، على كليهما". ومن جانب آخر قالت تايم حول البرنامج النووي الإيراني "ان أوباما تعهد في أثناء حملته الانتخابية بمد يده إلى إيران"، مشيرة إلى "إن هذا الامر فعله بوش في الفترة الاخيرة من ولايته". وأضافت "إنه بالرغم من أوباما يصر على مطلب

واشنطن يوقف طهران لبرنامجها النووي، فإن إيران رفضت ذلك تماماً، كما فعلت في زمن بوش، فيما يجد أوباما نفسه الآن يطلق المواعيد النهائية ويهدد بالعقوبات من دون ان يلوح في الافق أي احتمال بتحقيق نجاح اكبر مما حققه بوش".

وفيما يخص القضية الفلسطينية تقول مجلة تايم "كان أوباما قد تعهد في حملته الانتخابية بالضغط من أجل حل الدولتين، ووقف الإستيطان ولكنه لم يفلح في أي منهما واستمرت إدارة أوباما في مقاطعة حركة المقاومة الإسلامية "حماس" ورفضت التدخل في العدوان الذي شنته "إسرائيل" على غزة التي مازالت تحت رحمة الحصار الإسرائيلي".

وفي الاتجاه نفسه، كتب "أندرو البرشتون" مقالاً في مجلة "فورين بولسي" الأميركية المختصة بالشؤون الخارجية أكد فيه أن الرأي العام ولاسيما بين الشباب في الشرق الأوسط بدأ يشعر بالحيرة تجاه ادارة الرئيس الأميركي باراك أوباما ويفقد ثقته فيه بعد الخطاب الذي القاه أوباما في القاهرة، ويضيف البرشتون "هذا الموقف يمثل ازمة كبيرة بالنسبة إلى جهود الولايات المتحدة من أجل تحسين علاقاتها بالشعوب المسلمة في العالم حيث إن الشباب يمثلون الشريحة الأكبر من سكان الشرق الاوسط، من طهران إلى مراكش حيث أن ٢ من كل ٣ من سكان هذه المنطقة عمرهم اقل من ٣٠ عاما، وهو ما يعني أن مستقبل علاقات الولايات المتحدة مع هذه المنطقة يتوقف على هذه الفئة".

وأضاف البرشتون "إن حال الإحباط وخيبة الأمل تسيطر على شباب هذه المنطقة الحيوية من العالم بسبب البطالة، والشعور بالقهر والظلم، الأمر الذي يهدد أمن الولايات وحلفائها الغربيين". واضاف البرشتون "رغم الحماس الكبير من جانب الشعوب العربية والإسلامية لانتخاب الرئيس باراك وخطابه في القاهرة، فإن الشعور بخيبة الأمل بدأ ينتشر بين تلك الشعوب، بسبب تراجع الرئيس أوباما عن الكثير مما وعد به، بما في ذلك موقفه من النشاط الإستيطاني الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة، ودعم الديمقراطية، وتنظيمات المجتمع المدني في الدول العربية".

واخيرا يرى الكاتب "أن أوباما قد اكد مساندة ادارته لقضايا الكرامة الانسانية الاربع وهي : الديمقراطية، والحرية الدينية، وحقوق المرأة، والتنمية، ومنذ ذلك الوقت لم تفعل ادارته أي شيء يذكر لترجمة هذه الكلمات إلى واقع على الأرض في المجتمعات المسلمة".

اضافة إلى ما ذكر، دعا الكاتب الأميركي (ديفيد اغناتايوس) في مقالة له في صحيفة "واشنطن بوست" الأميركية الرئيس باراك أوباما إلى ضرورة الاستمرار في سياسته الخارجية المنفتحة على العالم الإسلامي في ظل ماسماها "الورطة" التي تعانيتها الادارة وسط مؤشرات على استدراج الجماعات المتشددة لها إلى مزيد من المستنقعات في اليمن. ومن جانب اخر، ابدى اغناتايوس نصائحه إلى أوباما للبقاء بوعوده الانتخابية لأنه اثار حقيقة مهمة مفادها "انه بينما يبدو أنه لا خيار امام الادارة الأميركية سوى الاستمرار في

مواجهة التنظيمات المتشددة بافغانستان، وباكستان، واليمن وجبهات اخرى قد تظهر على الساحة الدولية، لا بد في الوقت نفسه من استمرار أوباما في اخلاصه لوعوده بالتغيير التي تم انتخابه في ظلها".

فضلاً عن ذلك، أشار الكاتب إلى خطاب أوباما بالقاهرة والذي وعد فيه باعادة بناء علاقات الولايات المتحدة مع العالم الإسلامي، مضيفاً إن تلك العلاقات تشكل ركنا اساسيا من اركان سياسة بلاده الخارجية.

ومضى إلى القول "إن تصريحات أوباما في خطابه التي تمثلت في نيته فتح علاقات مع العالم الإسلامي على اساس المصالح المشتركة والاحترام المتبادل اثلجت صدور الناس في الشرق الاوسط، وكشفت عن السياسة الإستراتيجية الصحيحة للبلاد"

وحول الصراع العربي الإسرائيلي، قال الكاتب الأميركي "إن أوباما وعد في خطابه بالعمل على حل الصراع العربي الإسرائيلي، وأنه اشار إلى الدعم والتأييد الذي تلقاه حركة المقاومة الإسلامية "حماس" في المنطقة"، وأضاف اغناتايوس "ان كثيرا من المشككين وخصوصاً من سماهم الصقور في الولايات المتحدة و"إسرائيل" انتقدوا اقوال أوباما بشأن السلام في المنطقة وذهبوا إلى حد وصفه بأنه شخص "ساذج" في ظل زعمهم إن اعداء أميركا من المسلمين لاينخدعون بالكلام المعسول بشأن السلام، وانما يؤمنون فقط بمنطق القوة".

وربما "يعتقد المشككون الآن انهم كانوا على صواب في ظل كون جهود أوباما لاحياء عملية السلام قد قتلت في مهدها. كما يرى أغناتايوس. وحول ملف التصعيد الاخير في اليمن، اوضح الكاتب ان اليمن بات يشكل محك اختبار امام الرئيس الأميركي في محاربة "الإرهاب" بطريقة اذكى من تلك التي اتبعها سلفه جورج بوش (الابن)، متسائلاً عما اذا كان أوباما سيمضي بالحل العسكري؟

وأكد اغناتايوس ان الجهود الأميركية لمواجهة التنظيمات المتشددة في اليمن تلقى عوائق ابرزها مشاعر الكره المتنامية ضد الأميركيين في المنطقة والتي اشبه ما تكون بـ "الحالة الباكستانية، ولايمكن ازالة مشاعر الكره، والغضب ازاء الأميركيين بمجرد حفلة شاي، او عبر الدعم المالي، بل ينبغي على الادارة الأميركية مراعاة مطالب المسلمين التي اهمها مايتعلق بالقضية الفلسطينية على اساس حل الدولتين وفق حدود ١٩٦٧.

واختتم الكاتب الأميركي بالتأكيد "أن الولايات المتحدة تواجه عدوا يستدرجها بشكل أعمق إلى ساحات الوغى مما يوقعها في ورطات ومستنقعات جديدة بحيث تصبح أميركا تعيش في عزلة اكبر وسط شعبيتها التي تزداد انخفاضا في العالم". ودعا أوباما إلى تجنب الشرك الذي تعده التنظيمات المتشددة، وذلك بايجاد الحلول المناسبة للقضايا الاهم في المنطقة العربية والعالم الإسلامي.

## ب - الولايات المتحدة والتنظيمات المتشددة:

قبل بيان آخر التطورات بين أميركا والتنظيمات المتشددة لا بد من التعرّيج إلى جذور الموقف الأميركي من الإسلام السياسي والتنظيمات التي تعنتقه .

وقد صدرت دراسة حديثة بعنوان "الإسلام السياسي: بين اليمين الأميركي وباراك أوباما الحرب اسهل من السلام ج١" للباحث الإسلامي العراقي عبد الجبار الموسوي الصافي كشف فيها شيئاً عن هذه الجذور بالقول "على أمتداد العقود الثلاث الماضية منذ عام ١٩٧٩، كان الإسلام هو شغل أميركا الشاغل وحلفائها الغربيين على اختلاف توجهات حكوماتهم حيث تشارك اليمين المسيحي مع اليسار الديمقراطي وكذلك الاشتراكية الدولية، تشاركوا في هذا التوجس الكبير من الإسلام السياسي".

واضاف الصافي، "إن الغرب الانكلو/ أميركي حاول تشجيع تسييس الإسلام السلفي الرسمي ليكون حليفاً له في محاربة الإسلام السياسي الثوري، لكن سرعان ما انتهى هذا التحالف إلى تعارض ثم إلى صدام مسلح اعنف بكثير من صراع أميركا مع الإسلام الثوري ولم يحدث من قبل أن ظل موضوعاً واحداً مهيمناً على صناعات السياسة الخارجية الأميركية وعلى امتداد فترة طويلة كهذه مثل موضوع الإسلام والإسلام السياسي نتيجة لذلك كان الإسلام عاملاً محفزاً لاستنفار الإدارة الأميركية وجعلها دائمة الاستعداد لردود الأفعال السريعة" وأخيراً أكد الكاتب "أنه بعد الغزو السوفياتي لافغانستان بلغ الدعم الأميركي لجماعات الإسلام السياسي نروته إلا أن التوافق في المصالح بين الولايات المتحدة والإسلاميين انتهى بانتهاء الحرب الباردة وانهايار الاتحاد السوفياتي السابق وبعد تفجير مركز التجارة العالمي في نيويورك عام ١٩٩٣ والذي ادين بنتيجته اسلاميين بدا الصراع مابين حلفاء الامس واعداء اليوم، ذلك الصراع الذي عملت وسائل الاعلام الأميركية ومن وراها "إسرائيل" على تأجيجه، ثم جاءت احداث الحادي عشر من ايلول عام ٢٠٠١ والتي كانت الشعرة التي قصمت ظهر البعير، فاعطت الأحداث الكثير من الصديقة لنظرية صراع الحضارات التي تؤكد ضرورة المواجهة والتصدي للخطر القادم من العالم الإسلامي".

وبعد هذا الاستعراض للعلاقة بين أميركا والتنظيمات المتشددة، يبدو أن المستقبل المنظور سيكون مرحلة لنوع من المواجهة بين أميركا والتنظيمات المتشددة وخصوصاً في اليمن، إذ توجد هناك عدة مؤشرات لاندفاع أميركي لجعل اليمن الجبهة الأميركية الجديدة بعد افغانستان والعراق لمواجهة مايسمى (بالإرهاب). ويمكن تاشير هذه المؤشرات:-

- "اصبحت الاوضاع في اليمن خطرا على الأمن العالمي" هذه هي خلاصة تصريحات وزيرة الخارجية الأميركية، هيلاري كلينتون، في ٤ من كانون الثاني/يناير ٢٠١٠ تعقياً على ارتباط التنظيم المتشدد في اليمن بحادثة طائرة نورث ويست الأميركية حيث تلقى

النيجيري (عمر فاروق عبد المطلب) المتهم بمحاولة تفجير طائرة كانت متجهة لمدينة ديترويت بولاية ميشيغان تدريبه على يد عناصر متشددة في شبه الجزيرة العربية المتمركزة في اليمن، وهو ما جعل المراقبين يرون أن اليمن وضعت على خريطة الحرب الأميركية ضد ما يسمى "الإرهاب" التي تمددت لتشمل كلا من أفغانستان، وباكستان، والعراق، والصومال، وأخيراً اليمن.

- ابرزت مصادر أميركية عديدة ارتباط اسم رجل الدين المتشدد (أنور العولقي)، المختبئ في اليمن، بحادثة فورت هود في ٥ من تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٩ التي اطلق خلالها الميجر الفلسطيني الاصل (نضال مالك حسن) النار على عدد من العسكريين الأميركيين في قاعدة عسكرية جنوب ولاية تكساس ما أدى إلى قتل ١٣ شخصا واصابة ٤٢، حيث اشار جون بريتان، مستشار الرئيس الأميركي أوباما لشؤون مكافحة الإرهاب، إلى ان العولقي الذي يعيش حالياً في اليمن كان على اتصال بنضال مالك قبل قيامه بالعملية.

- اشار تيد دان Ted Dagne، خبير شؤون القرن الأفريقي بهيئة أبحاث الكونغرس Congressional research Service، إلى ان الصلة بين التنظيم المتشدد في اليمن وحركة "شباب المجاهدين الصومالية" مؤكدة، نظرا إلى تشاركتهم في الايدلوجية والمعتقدات الخاصة بالعداء للغرب، منوهاً وأضاف أن التقارب الجغرافي بين الدولتين جعل التنسيق فيما بينهما ممكناً لتحقيق الاهداف، كما أنه لا يستبعد وجود علاقة بين التنظيمين سالف الذكر وبعض عمليات القرصنة البحرية في البحر الاحمر وخليج عدن.

- بعث الرئيس أوباما برسالة لنظيره اليمني، علي عبد الله صالح، حملها وزير الدفاع الأميركي، روبرت غيتس، حول التزام أوباما بمضاعفة المساعدات الامنية الأميركية البالغة ٧٠ مليون دولار، إضافة إلى زيادة المساعدات التنموية لليمن خلال السنوات الثلاث المقبلة لتصل إلى ١٢٠ مليون دولار. وتناغم ذلك مع اعلان الولايات المتحدة وبريطانيا عزمهما تمويل تدشين وحدة شرطة متخصصة لمكافحة الإرهاب في اليمن ودعم الولايات المتحدة لمقترح بريطاني بعقد مؤتمر دولي حول اليمن بنهاية يناير ٢٠١٠.

- دعا السيناتور الأميركي جوزيف ليبرمان Joseph Lieberman، رئيس لجنة الامن الداخلي والشؤون الحكومية بمجلس الشيوخ الأميركي Senate Homeland Security and Governmental Affairs Committee إلى هجوم وقائي ضد تنظيم القاعدة في اليمن وهو ما ايده السيناتور ارلين سبيكتور Arlen Specter قائلاً "إن اليمن اصبح الان في قلب المعركة ضد الإرهاب وأصبح لدينا وجود متنام، ويجب أن يكون لنا هذا الوجود سواء بقوات العمليات الخاصة أو عناصر مخبرات او قوات صاعقة".

وبالرغم من كل ما ذكر، فإن السيناتور الأميركي جوزيف ليبرمان أكد أن الولايات المتحدة لن نفتح جبهة جديدة ضد التنظيمات المتشددة في اليمن ولن "نرسل قوات عسكرية إليه

وأن الإدارة الأميركية ستكتفي بتقديم الدعم المالي والعسكري للقوات اليمنية لمكافحة التنظيم". فضلاً عن ذلك، أشارت افتتاحية صحيفة نيويورك تايمز New York Times، في ٣١ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٩، إلى أن التدخل العسكري المباشر في اليمن امر مستبعد بالنظر إلى العقبات التي تعترض نشر قوات عسكرية أميركية في اليمن والتي تشمل رفض الحكومة اليمنية لذلك الإجراء، وتهديدات التنظيمات السلفية باستهداف المصالح الأميركية، وعلان قادة حركة شباب المجاهدين استعدادها لمساندة عناصر القاعدة في اليمن في مواجهة الهجمات الأميركية، وهو ما يعني ضمناً تحويل اليمن إلى ساحة قتال دولية على غرار أفغانستان والعراق، بما سيؤثر سلباً على الأمن مع امتداد هجمات التنظيمات المتشددة لدول مجاورة وخصوصاً المملكة العربية السعودية ودول الخليج.

وبالرغم من كل ما ذكر، أكد براين ويتمان، المتحدث باسم وزارة الدفاع الأميركية، أن "التواجد العسكري الأميركي في اليمن محدود ويتركز على التدريب ومتواضع نسبياً وأن التعاون بين البلدين يتركز على تبادل المعلومات الاستخباراتية وتوفير التدريب والتمويل لبناء قدرات القوات اليمنية في مكافحة التحديات".

### III - أوباما والقضية الفلسطينية

أعتقد أن الاجابة عن هذا التساؤل توجب علينا المرور على ثلاثة ملفات أولهما أوباما و"إسرائيل"، وثانيهما أوباما والقضية الفلسطينية وثالثهما أوباما والتسوية.

#### ١ - أوباما و"إسرائيل"

لا بد من تقسيم هذا القسم إلى جزئين، حيث يجب في البداية التعرف على موقف "إسرائيل" من أوباما ثم التعرف على موقف أوباما من "إسرائيل" لفهم طبيعة سياسة أوباما حتى الان في هذا الأمر.

#### أ - موقف (إسرائيل) من أوباما:

يوجد هناك فريقان في "إسرائيل" الأول فريق متشائم والثاني متفائل تجاه سياسة أوباما حول القضية الفلسطينية و"إسرائيل". أما الفريق المتشائم فيمثل البروفسور موشيه تسيرمان، استاذ التاريخ المعاصر في الجامعة العبرية بالقدس، الذي يؤكد أن هناك أستياء في الإدارة الإسرائيلية من سياسة أوباما بسبب مطالبة الآخر لإسرائيل بالقبول بحل الدولتين، والإنسحاب من الأراضي المحتلة، وفي مجمل سلوكه يبدو أوباما متعاوناً مع الفلسطينيين أكثر من تعاونه مع الإسرائيليين، وتشكل مطالب أوباما بإيقاف الإستيطان في الضفة الغربية والقدس الشرقية نقطة خلاف جوهرية بين إدارته وبين الإدارة الإسرائيلية. وسبق أن أعلنت "إسرائيل" تجميد بناء المستوطنات في الضفة الغربية الغربية لمدة ١٠

اشهر، وهو ما يمكن أن يسجل كخطوة عملية إلى الامام في مسيرة جهود السلام التي ترعاها إدارة أوباما.

وفي هذا الاطار، يقول تسيرمان "إن اليمين الإسرائيلي هو الجهة المستاءة من سياسة أوباما، لأن هذا اليمين لا يقبل أي انسحاب ولا يهضم فكرة خروج ما يعرف بالضفة الغربية عن السلطة الإسرائيلية" لكن اليسار الإسرائيلي حسب تسيرمان يبدو مرتاحاً لأوباما ومتقبلاً لسياسته".

وفي هذا الاطار، صدر كتاب في واشنطن في نيسان/ابريل ٢٠٠٩ للكاتب الأميركي دان فيلشر بعنوان "تحولات اللوبي الإسرائيلي بالولايات المتحدة حدود القوة وافاق التغيير"

Dan Fleshler, Transforming Americas Israel Lobby : The Limits of its Power and Potential For Change . تناول تحولات اللوبي الإسرائيلي المتمثل لجنة العلاقات العامة الأميركية الإسرائيلية المعروفة (أيباك) Aipac وتمدد نفوذها في واشنطن بشكل لم يألفه النظام السياسي الأميركي في دور جماعات المصالح، لاسيما فيما يتعلق بضغوطها على مؤسسات صنع السياسة الخارجية الأميركية واستقطابها لعدد كبير من اعضاء الكونغرس لدعم المصالح الإسرائيلية وفق رؤية اقطاب اليمين المتشدد في "إسرائيل" بل وقيامها بالتجسس في بعض الاحايين على المؤسسات الامنية والعسكرية الأميركية لمصلحة "إسرائيل".

القضية التي اثارها الكتاب ونبرة التشاؤم التي ابداهها الكاتب تجاه طرحه سيناريو تلاشي نفوذ ايباك السياسي في أميركا نتيجة عوامل عدة أهمها تاييد الرئيس أوباما وقيادات التيار الليبرالي لتغيير نهج السياسة الخارجية الأميركية تجاه منطقة الشرق الاوسط، وجدية أوباما في دعم التوصل لتسوية بين الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني وهو ما يتطلب قدراً ما من التوازن في المواقف الأميركية تجاه الطرفين وهو ما دفع الرئيس أوباما لانتقاد التوسع الاستيطاني الإسرائيلي في قطاع غزة، إضافة إلى ما يطلق عليه الكاتب "الخلافات الهيكلية" في التوجهات بين غالبية اليهود الأميركيين وقادة ايباك اليمينيين.

وقد عبر الكاتب عن رايه حول السياسة الخارجية الأميركية تجاه عملية التسوية حيث رأى انها لا تزال مقيدة بتوجهات ايباك اليمينية المتشددة بالنظر إلى تردد الرئيس أوباما في انتقاد سياسات الحكومة الإسرائيلية فيما يتعلق بالتوسع الاستيطاني، واستئناف التفاوض مع الطرف الفلسطيني، وحصار قطاع غزة، ودعم ادارة أوباما لاحكام حصار القطاع، وإغلاق المعابر.

اما الفريق المتفائل، فيرى أن هناك نظرة ايجابية "لاسرائيل" تجاه الرئيس أوباما لاسيما ان صحيفة "يديعوت احرونوت" الإسرائيلية أكدت أن الرئيس الأميركي، باراك أوباما، أقر ميزانية المساعدات الخارجية للعام ٢٠١٠ وشملت مساعدات امنية لـ "إسرائيل" بلغت

قيمتها ٢ مليار و٧٧٥ الف دولار، وكشفت الصحيفة أن المصادقة التي تاتي للسنة الثانية أقرت بموجب التفاهات بين "إسرائيل" والادارة الأميركية على رفع المساعدات في العقد القادم إلى ٣٠ مليار دولار. وأوضحت الصحيفة الإسرائيلية أنه "بجانب المساعدات الامنية السنوية، فإن الرئيس الأميركي والكونغرس قد صادقاً على زيادة خاصة للصناعات الامنية الإسرائيلية في التطوير التكنولوجي وخصوصاً في مجال اعتراض الصواريخ"، وأضافت أحرنون "الولايات المتحدة ساعدت ولا تزال تساهم في انتاج صاروخ "حيتس ٢" الإسرائيلي الذي يفترض أن يوفر الحماية الجوية من الصواريخ، وهو مشروع مشترك لشركة (بوينغ) والصناعات الجوية الإسرائيلية.

وجدير بالذكر ان الولايات المتحدة الأميركية وعلى مدى السنتين الاخيرتين تقوم بتمويل تطوير "حيتس ٢" من أجل توفير الحماية لـ "إسرائيل" من الصواريخ الباليستية الإيرانية.

#### ب . موقف أوباما من "إسرائيل":

المتابع لتحركات أوباما منذ حملته الانتخابية الرئاسية يلاحظ أنه كان مندفعاً جداً لكسب ود "إسرائيل" وزيارتها. وأكد هناك أن القدس "عاصمة لاسرائيل" وزار سيديروت (مستوطنة اسرائيلية تقع شمال غزة، وانتقد ضربات من وصفهم بـ "الإرهابيين الفلسطينيين" !!! ضد "المستوطنين الضعفاء" !!! فضلاً عن ذلك، طمأن جو بايدن عندما رشحه أوباما لمنصب نائب الرئيس الناخبين اليهود خلال الحملة الانتخابية بشأن التزام رئيسه القادم تجاه "إسرائيل" إذ قال بايدن آنذاك "إنه عمل مع كل رؤساء وزراء اسرائيل بدءاً بغولدا مائير، وحتى رئيس الوزراء الحالي". وأضاف "ان تحسن وضع الولايات المتحدة في العالم وهو ما يتوقعه مع وصول أوباما للرئاسة سيعزز أيضاً أمن "الدولة اليهودية" وأول ما قام به أوباما عقب فوزه هو تعيين الإسرائيلي (رام بنايمين ايمانويل) ككبير لموظفي البيت الابيض الذي كان والده ينتمي لمنظمة يهودية متطرفة تدعى "أيتسيل ارغون" والتي قامت بأعمال عنف وإرهاب ضد الفلسطينيين بين عامي ١٩٣٣ و١٩٤٨ .

وقد كان رام في الخدمة العسكرية في "اسرائيل" عام ١٩٩٧. وسبق له التطوع في مكتب تابع للجيش الإسرائيلي في الفترة التي سبقت حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ .

وجدير بالذكر إن والد رام صرح "إن اختيار ابنه رام لهذا المنصب سيتمكن بالتأكيد من التأثير على أوباما ليكون مسانداً قوياً وصديقاً لـ "إسرائيل".

وهناك امثلة اخرى من ابداء أوباما ثقته وتقريبه لمستشارين من اليهود الأميركيين مثل كبير المخططين الاستراتيجيين لحملة الانتخابية (ديفيد اكسل رود) ومستشاره لشؤون السياسة الخارجية (دينيس روس) المنسق السابق لعملية وما يسمى السلام في الشرق الاوسط والمدير السابق لمعهد واشنطن لسياسات الشرق الاوسط لسياسات اللوبي الإسرائيلي.

## ٢ - أوباما والقضية الفلسطينية

المراقب لتصريحات السلطة الفلسطينية، سيرى علامات الخيبة جراء سياسة أوباما تجاه القضية الفلسطينية، فمثلاً بعد عام على توليه سدة الرئاسة يقول كبير المفاوضين الفلسطينيين، صائب عريقات، "قدرنا عاليا اتصال الرئيس أوباما بالرئيس عباس، ومنذ تسلمه مهام منصبه رئيساً للولايات المتحدة قدرنا أيضاً قيامه بتعيين السيناتور جورج ميتشيل مبعوثاً لعملية السلام خلال الاسبوع الاول من توليه الرئاسة"، ويضيف عريقات "رغم أننا التزمنا علناً مع هذه الإدارة على اساس خارطة الطريق ونفذنا الإلتزامات المترتبة علينا جميعها، فإن اسرائيل لم تنفذ أي بند منها".

من جانب اخر، قال المحلل السياسي الفلسطيني، هاني المصري، "لقد بدا أوباما في البداية حاملاً وواعداً، لكن الصدمة تمثلت بتراجعه الكبير المفاجي منذ الجولة الاولى لانه رضخ لضغوط اللوبي الإسرائيلي، وانتقل من موقف الوعد بالتجميد الكامل للاستيطان إلى اعتبار التجميد الجزئي خطوات غير مسبوقه والإشادة بها، إلى الانتقال إلى الضغط على الفلسطيني".

ومن جانب اخر طالب الدكتور حيدر عيد، الأكاديمي الفلسطيني من قطاع غزة والرئيس أوباما بعدم طرح مزيد من الوعود بالقول "بعد عام من رئاسة أوباما نقول إننا لا نريد المزيد من الوعود لأننا أصلاً وعلى النقيض من قياداتنا التاريخية منها واللاتاريخية لم نكن نتوقع تغييراً حقيقياً لا خلال عام ولاحتى اربعة اعوام، نحن بدورنا علينا أن نعد السيد الرئيس باراك حسين أوباما بتطبيق الشعار الذي رفعه خلال حملته الانتخابية ألا وهو، نعم سيكون هناك تغيير بالنضال المشترك مع حركة التضامن الدولي في حركة نضالية أدت في الامس القريب إلى التخلص من نظام التفرقة العنصرية".

ويرى الاكاديمي الفلسطيني أن هناك قصوراً في الادارة الأميركية الحالية تجاه تعاملها مع القضية الفلسطينية "لأن الفلسطينيين من وجهة نظر النخبة الأميركية الحاكمة هم سكان الأرض الأصليين الذين لايقبلون بالواقع الكولونيالي بهدوء حتى يمكن التحالف الأميركي الإسرائيلي من السيطرة على باقي الشرق الاوسط، وبالتالي فإن السياسة الأميركية تقوم على اساس إخراس السكان الاصليين من خلال بعض الرشاوي الخالية من أي معنى، وبما أن هذه السياسة نجحت مع بعض السكان الاصليين في دول أخرى فلماذا لا تنجح هنا في فلسطين؟ علم، نشيد وطني، قطعة ارض غير متواصلة، مطار صغير، قوات امنية على نمط نظيراتها في دول العالم الثالث، رئاسة، رئاسة وزراء، مجلس وزراء، ماذا يريد سكان الأرض الاصليون أكثر من ذلك" يتساءل الاكاديمي الفلسطيني.

ويحمل عيد القيادات الفلسطينية جزءاً من المسؤولية تجاه تدهور القضية الفلسطينية لأنه يعتقد أن هذه القيادات "وبشكل متواصل تعاملت مع الرئيس الأميركي بالضبط كما

تتعامل مع ملك السعودية أو أي أمير خليجي بمعنى أن القضية الفلسطينية كانت ولا تزال تقدم على اساس استعطاف واستجداء Pettion.

وذلك بطلب من سيادته ان ينظر إلى القضية بعين الرحمة أو العطف على أمل ان يقتنع مقابل تعاوننا وابدائنا حسن السلوك والصدقة المخلصة والمطبعة، وعلى أمل أن يؤدي ذلك إلى أن يتفضل الرئيس الأميركي ويبيدي كرمه بمساعدتنا".

ويعلل الاكاديمي الفلسطيني سبب قصور هذه السياسة الفلسطينية والتي تعني عدم فهم طبيعة السياسة الخارجية الأميركية بالقول "إن هذا المنطق لم ولن ينجح لأن أميركا ليست بإمارة خليجية وقيادتها لا يهتمها على الإطلاق الوعود الفلسطينية بان يكون الفلسطينيون أصدقاء مطيعين، لان هذا المنطق، بكل بساطة، لا يأخذ في عين الاعتبار أن العلاقة الاستراتيجية مع إسرائيل أهم بكثير من الفلسطينيين الفقراء، الضعفاء والذين يحلمون بكيان مايكروسكوبي على الخريطة".

ويرى عيد أنه على الفلسطينيين أن يحولوا انفسهم من أناس ليسوا ذوي شان إلى شعب يفرض اهميته بالضبط، كما فعل سكان جنوب أفريقيا السود في اواخر الثمانينات، ولا سيما أنه بعد فشل النظام الرسمي العربي فشلاً ذريعاً في تهديد أمن "إسرائيل" والمصالح الأميركية في الشرق الاوسط، والإنبطاح غير المسبوق لهذا النظام، فانه من الصعب تصور تغيير في السياسة الخارجية الأميركية في الشرق الأوسط.

ويتصور أخيراً الأكاديمي الفلسطيني ان أي خيار اخر غير خيار القوة والاجبار الذي يمكن ان يسلط على "إسرائيل" لاحترام الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني سيؤدي إلى استمرارها بقضم الأرض، وبناء المستعمرات، وطرده المقدسين، وحصار غزة، ومحاولة التخلص من سكان الأرض الاصليين، ١٩٤٨، وممارسة السياسة العنصرية، وبناء جدار الفصل العنصري.

### ٣ - أوباما والتسوية

يتفق اغلب الباحثين ان من الاسباب التي لم تؤدي إلى أي تقدم حتى الان في عملية التسوية، وفشل الإدارة الأميركية في ذلك أن كلا الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني يصر على شروطه، إذ تريد حكومة نتنياهو العودة مباشرة إلى المفاوضات لكن من دون شروط مسبقة او مهلة، ويصر الرئيس الفلسطيني، محمود عباس، على تجميد كامل لعمليات البناء والإستييطان الإسرائيلي في الضفة الغربية وفي القدس الشرقية قبل امكانية استئناف محادثات السلام.

ويرى الصحافي والإعلامي الفلسطيني "أحمد دغلس" أن الفلسطينيين يشعرون أن المفاوضات مع "إسرائيل" قد طال امدها، ومن هنا تولد لديهم شعور بان هناك حاجة

لضغط دولي إضافي لوقف الاستيطان في الأراضي الفلسطينية ويقول دغلس "إن الفلسطينيين، وفي ضوء ضياع كل هذا الوقت في المفاوضات، يرون أن لا طريق لدخول مفاوضات ثانية إلا بوقف كامل للإستيطان". ويتابع الصحافي الفلسطيني قائلاً "الخلاف أضحى اليوم حول المفاوضات؛ إنها مفاوضات حول استئناف المفاوضات".

وأخيراً يبدو أن الخبراء الإسرائيليين وخصوصاً خبراء السلطة يؤمنون ان أوباما دعا "إسرائيل" إلى إتخاذ خطوات عدة إلا أنه ضغط على الجانب الفلسطيني لاتخاذ بعض الخطوات ظاهرها تنظيم البيت الفلسطيني من الداخل وباطنها هو القضاء على المقاومة الفلسطينية كشرط لانجاح التسوية ويقول في هذا الاتجاه، روني بارت، الخبير في السياسات الأميركية الشرق أوسطية في معهد دراسات الامن القومي التابع لجامعة تل ابيب "ان أوباما سبق وأن أدلى بتصريحات دعا خلالها "إسرائيل" إلى وقف الإستيطان، وإخلاء المستوطنات، ومنح تسهيلات للفلسطينيين في الوقت الذي عبر عما يجب على الفلسطينيين أن يفعلوه مثل "مكافحة الإرهاب" أو القيام باختلافات في حكمهم او في ديمقراطيتهم الداخلية، كما انه انتقد خلال المعركة الانتخابية السياج الأمني للصهيونية".

ويرى بعض الباحثين العرب ومنهم ادموند غريب، استاذ العلاقات الدولية بالجامعة الأميركية في واشنطن، أن الرئيس أوباما "يدرك كيف أن تسوية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي يستخدم مصالح الولايات المتحدة في المنطقة وسيحدد أوباما طبيعة الدور الذي حدده لنفسه في التوسط الأميركي للتوصل إلى تسوية للصراع الفلسطيني الإسرائيلي خاصة بعد ظهور بوادر تشير إلى بدء النفوذ الأميركي في المنطقة في الانحسار ومحاولة أطراف دوليين آخرين انشاء مناطق نفوذ متزايدة هناك مثل فرنسا، وروسيا بل والصين والهند، ما سيغير من الثقل الدبلوماسي الأميركي في الفترة القادمة" □